مجلة المختار للعلوم الإنسانية 01 (01): 105-138، 2003

Research Article

Open Access

محمد بن جابر الهواري الأندلسي شاعر المديح النبوي بين تجاهل معاصريه له و جهل الدارسين المحدثين به.

محمد طيب خطاب

قسم اللغة العربية، كلية الاداب، جامعة عمر المختار

Doi: https://doi.org/10.54172/n6yerc38

المستخلص : يستكشف هذا البحث حياة وتأثير عالم أندلسي ترك تأثيراً ملحوظاً في المجالات العلمية والثقافية الإسلامية من خلال التدريس والأعمال العلمية. يتناول البحث الالتباس والدهشة الناشئة عن الإهمال الواضح من قبل معاصريه، مثل كلسان الدين ابن الخطيب، الذي قدم ترجمة سطحية لأعماله لم تلتقط جوهرها. الإهمال توسع ليشمل العلماء الحديثين، مما أدى إلى الارتباك والسوء تفسير لحياته وإسهاماته. يهدف البحث إلى تصحيح وتوضيح هذه الاختلافات، مسلطاً الضوء على حياة وتأثير هذا العالم للباحثين المعاصرين

الكلمات المفتاحية: ابن جابر، عالم أندلسي، شمس الدين، المرية، مملكة نصرة، دراسات قرآنية، نحو، توجيه.

"Muhammad ibn Jabir al-Hawari al-Andalusi, the poet of eulogy for the Prophet, stands between the neglect of his contemporaries and the ignorance of modern scholars about him."

Muhammad Tayyab Khattab

Department of Arabic Language, College of Arts, Omar Al-Mukhtar University

Abstract: This research explores the life and impact of an Andalusian scholar who left a notable legacy in Islamic scientific and cultural spheres through teaching and scholarly works. The study addresses the perplexity and astonishment arising from the clear neglect of his contemporaries, such as Kalsan al-Din Ibn al-Khatib, who provided a superficial translation of his works that failed to capture their essence. The oversight extended to modern scholars, resulting in confusion and misinterpretation of his life and contributions. The study aims to rectify and clarify these discrepancies, shedding light on the life and impact of this scholar for contemporary researchers.

Keywords: Ibn Jabir, Andalusian scholar, Shams al-Din, Almeria, Nasrid Kingdom, Quranic studies, grammar, mentorship.

The Author(s) 2023. This article is distributed under the terms of the Creative Commons Attribution 4.0 International License (http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/) , which permits unrestricted use, distribution, and reproduction in any medium ،provided you give appropriate credit to the original author(s) and the source, provide a link to the Creative Commons license, and indicate if changes were made.

مقـدمة

يتناول هذا البحث حياة واثار عالم أندلسي كان لـه حضوره الواضـح فـي الحياة العلمية والثقافية الاسلامية تدريسا وتأليفا مما يجعل الباحث في حيرة و دهشة في الآن معا من هذا التجاهل الواضـح من معاصريه من الاندلسيين كلسان الدين ابن الخطيب الذي خصه بترجمة مبتسرة لا تفي بالغرض ولاتشفى غلة الباحث ولم يذكر شيئا من اثاره المتعددة، ولم يتعرض لحياته العلمية الحافلة مما جعل عمله هذا مثار انتقاد الدارسين للتراث الاندلسي وعلى رأسهم المقري في كتابة " نفح الطيب " وهذا التقصير في حق هذا العالم سرى الى الدارسين المحدثين فوقع الالتباس والخلط في حياته واثاره بشكل عجيب .

وهذا ما تحاول هذه الدراسة تصحيحه وتصويبه من ناحية ، وجلاء وبيان حياة واثار هذا العالم للدارسين من ناحية اخرى .

حياة ابن جابر و دراسته وشيوخه :

هو محمد بن أحمد بن علي بن جابر الهواري الأندلسي المالكي ، يكنى بأبي عبد الله، و يعرف بابن جابر ،ويلقب من الألقاب المشرقية بشمس الدين .ولا نعرف متى أصبغ عليه هذا اللقب ، و إن كانت الألقاب المسندة إلى الدين ذائعة في عصر ابن جابر ، وخاصة في المشرق ، بحيث لا يكاد يخلو اسم عالم منها (1) .

وقد ولد ابن جابر بمدينة المرية بجنوب الأندلس عام 698 هـ و هو ما يؤكد الصفدي معاصره بقوله " اجتمعت به مرات ، و سألته عن مولده ، فقال : سنة ثمان و تسعين و ستمائة بمدينة المرية (2) وهذا ما يتفق عليه كل من ترجموا لابن جابر، عدا تلميذه ابن الجزري الذي نسبه إلى مرسية حين ترجم لشيخه في كتابه (**غاية النهاية**) قال : " محمد بن أحمد بن جابر الهواري أبو عبد الله الأندلسي المرسي الضرير النحوي الأديب شيخنا(3) فلعل ابن جابر يكون قد أقام مدةبمرسية أثناء تجوله في طلب العلم ، قبل أن يرحل للحج و طلب العلم في المشرق عام 738 هـ ، كما درج على ذلك كثير من علماء الأندلس ، الذين سنوا هذه السنة منذ وقت مبكر ، و حافظوا عليها حتى عصور متأخرة من حياة الأندلس الثقافية ، فنسبه ابن الجزري تلميذه سهواً إليها عندما ترجم لشيخه ابن جابر ، أو ربما وقع ذلك تحريفاً لكلمة المري الي المرسى بإضافة السين قبل ياء النسبة في أثناء التحقيق

أو الطباعة ، و هو أمر وارد لسهولة اللبس في مثل هذه الحالات . وقد توفي ابن جابر في البيرة بالقرب من حلب عام 780 هـ ، و ليس ببيرة الأندلس كما وهم بعض الدارسين (4) .

و قد خالف ابن القاضي في " درة الحجال " حين جعل ميلاد ابن جابر في عام 697 هـ (5) ، فلا نعلم كيف جاء بذلك التاريخ ، و خالف بقية المترجمين لابن جابر . ومع ان المصادر تغفل عن ذكر دراسة ابن جابر و زمانها ، و مواد هذه الدراسة في سنيه الأولى ، فبالا مكان تصورذلك حسب ما جرت به عادة التعليم في البلاد الإسلامية عصرئذ ، حيث يبدأ الطالب بتعلم القرآن قراءة وكتابة وحفظاً برواياته المختلفة ، وتلقي المبادئ الإسلامية ،والأحكام الدينية ، ورواية الشعر ومبادئ النحو ، وتعلم الهجاء والشكل والخط ، كما يقول ابن خلدون عن عادة التعلم في الأندلس في وقته ، " إذ يأخذون في تعليم القرآن و الكتابة من حيث هو ، وهذا الذي يراعونه في التعليم ، فلا يقتصرون لذلك عليه فقط بل يخلط الولدان رواية الشعر والترسل ، واخذهم بقوانين العربية وحفظها وتجويد الخط والكتابة ، إلى أن يخرج الولد عن عمر البلوغ إلى الشبيبة و قد شدا بعض الشيئ في العربية و الشعر و البصر بهما و برز في الخط و الكتابة و تعلق بأذيال العلم على الجملة " (6) . فلم يكن ابن جابر ليخرج عن النظام الدراسي التقليدي المتعارف عليه منذ أمد بعيد في نظام الدراسة الإسلامية ، فلا بد أنه بدأ دراسته الأولى بمدينة المرية – التي كانت في ذلك الوقت من أهم ثغور مملكة غرناطة عسكرياً و اقتصادياً و ثقافياً – ولا بد ان يكون والده أول شيوخه الذين تلقى تعليمه الأولى على أيديهم.

فرغم أن المصادر التي ترجمة لابن جابر قد أغفلت الحديث أو الإشارة إلى والده وإلى مكانته العلمية ، إلا أن مقدمة ديوانه " نفائس المنح وعرائس المدح " (7) ، تميط اللثام عن هذا الغموض ، وتصحح هذا الخطأ الذي وقع فيه المترجمون لابن جابر ، فتجاهلوا المكانة العلمية الرفيعة لوالده ، وتأثيرها في حياة ولده محمد بن جابر العلمية وهي آفة لم يكن ابن جابر أول ضحاياها ، بل أصابت كثيرين غيره ، فانصب الاهتمام على الابن أبي عبد الله محمد بن جابر ، شمس الدين ، الذي اشتهر وتميز وتنوسيت جذوره العلمية ، ومكانة و الده المتميزة ، فلم تذكر المصادر ، خاصة الأندلسية عنه شيئاً ، أو لعلها ذكرت عنه ، وترجمت له ، خاصة تلك الكتب التي أرخت لمدينته المرية

وادبائها وعلمائها ، " كمزية المرية على غيرها من البلاد الأندلسية " لشاعر المرية وأديبها ، ابن خاتمة ، والذي قال عنه المقري : " إنه مجلد ضخم وقد تركته في جملة كتبي في المغرب " : (8) او تاريخ المرية " والمؤتمن على أنباء أبناء الزمن " الذي ينقل عنه ابن الخطيب كثيراً من تراجمه في كتابه " **الاحاطة** " وهما كتابان لعالم المرية ، وشيخ ابن جابر ، والمؤلف الأديب القاضي الرحالة أبي البركات البلفيقي توفي 771 هـ ، وكتابه الأخر في أسماء الكتب ومؤلفيها الذي رتبه على حروف المعجم وغيرها(9)، و كلها عدا عليها الزمن والأحداث والأشخاص التي ضاع في خضمها كثير من التراث الأندلسي الفكري والحضاري ، فلم نعد نسمع إلا صداه البعيد ، وذكرياته بحلوها ومرها ، قال ناسخ الديوان في المقدمة : " قال الشيخ الأمام العلامة ، الأديب الفاضل ، البارع الكامل ، شيخ دهره ، وفريد عصره أبو عبد الله شمس الدين ، محمد ابن الامام العلامة جابر الهواري ، الأندلسي المالكي، آدام الله عليه صيب رحمته ، وأحله فسيح دار كرامته بمنه وكرمه " (10) .

فابن جابر إذن ينتمي إلى بيت علم وفضل وجلالة في الأندلس ، فوالده لم يكن نكرة في وقته ، بل كان عالما وعلامةً وهي مرتبة لا يبلغها إلا القلة من العلماء ، الذين تميزوا بالتفرد والخصوصية في علمهم وفضلهم وشهرتهم .

فلا بد ان تكون المرحلة التعليمية الأولية لابن جابر قد تمت على يدي والده العلامة جابر الهواري ، فلما بلغ شمس الدين ابن جابر عند ذلك ، دور الطلب أخذ في مجالسة الشيوخ في بلده المرية في وقته ، وملاقاتهم والأخذ مما عندهم من فنون علمية متعددة .

وتشير المصادر التي ترجمت لشاعرنا ، إلى المتميزين منهم فقط الذين كانوا قبلة لأجيال متعددة من الطلاب ، للأخذ عنهم والتتلمذ على ايديهم في دولة غرناطة في هذا القرن .

فقد درس ابن جابر في هذه المرحلة القرآن والنحو على أبي الحسن على ابن محمد ابن أبي العيش شيخ الجماعة بمدينة المرية في وقته وقاضيها ، الذي تتلمذ عليه كثيرون غير ابن جابر، وتردد اسمه كثيراً في مواطن عدة في الأحاطة ، كأستاذ لجيل بأكمله ما كان ابن جابر إلا واحداً منهم ، (10) " الشيخ الخطيب الأستاذ مولى النعمة على أهل طبقته بالمرية " كما يقول ابن الخطيب (11) .

والحديث عن محمد بن يعقوب بن يوسف المنجلاتي الزواوي البجائي أبي عبد الله ، المعروف بالزواوي " كان حافظاً فقيهاً مستبحراً في حفظ المسائل والفروع " تولى القضاء في بجاية ، فلما عزل عنه قدم إلى المرية رسولاً ، فتصدر للإقراء والتدريس بحضرة شيوخنا " كما ينص الحضرمي صديقه في فهرسته، وقد توفي الزواوي عام 732 هـ . (12) .

كما درس ابن جابر الفقه المالكي على الأستاذ محمد بن سعيد الرندي في بداية حياته العلمية .

وكانت المرية تزخر بالكثير من العلماء في هذا الوقت ، الذين تصدروا للتدريس والإقراء والإجازة و التأليف بها ، إذ كانت تعد ثاني المراكز الثقافية بعد الحاضرة غرناطة ، فلا بد أن يكون قد تتلمذ عليهم وجلس إليهم ، واخذ عنهم مروياتهم بمتونها وأسانيدها ، كأبي البركات ابن الحاج البلفيقي ، نسبة إلى بلفيق حصن من عمل المرية – العالم الراوية والأديب الرحالة ، وكان قد تجول في الأندلس بعد دراسته ببلده ثم اتجه إلى الغرب وجال فيه " نافضاً إياه من العلماء والصلحاء والأدباء والآثار بتقييده " (13) ، ثم عاد إلى الأندلس ليتصرف في الإقراء والقضاء والخطابة في بلده المرية ، وفي حاضرة الدولة غرناطة وغيرها من مدن الأندلس الأخرى ، واستقر أخيراً ببلده المرية ،وتصدر للإقراء والتدريس والرواية عام 747 هـ ، وكانت فرحة أهل بلدته ، عامة وخاصة ، به عظيمة ، لما يعرفون من علمه وفضلة وعدله ، " وانتابه الطلبة ووجوه الحضرة والدولة .. فطفقوا يغشونه زرافات ووحداناً (14) .

وكان للبلفيقي العديد من المؤلفات التي تذكرها المصادر الأندلسية ، وخاصة " **الاحاطة** " لتلميذه ابن الخطيب ، الذي ينقل كثيراً عن هذه المؤلفات ، وخاصة كتاب البلفيقي " **المؤتمن على أنباء أبناء الزمن** " " **و تاريخ المرية** " و ديوان شعره المسمى " **بالعذب والأجاج في شعر أبي البركات ابن الحاج** " الذي يبدو انه كان ديواناً ضخماً إلى الحد الذي دعا القاضي الشريف الغرناطي إلى اختصاره ، وسمي مختصره " **اللؤلؤ والمرجان اللذان من العذب والأجاج يستخرجان** " ، ولابي البركات تأليف في أسماء الكتب ومؤلفيها على حروف المعجم ، ومنها الفصول والأبواب في ذكر من أخذ عنه من الشيوخ والأتباع والأصحاب ، وغيرها كثير، قال النباهي : " قيد الكثير بخطه ، وكان يكثر في لقاء

العلمـــاء ومصـــاحبة الأدبـــاء ، والأخـــذ مـــن المعـــارف كلهـــا ، والـــتكلم فـــي أنواعهـــا " (15) ، وقد توفي البلفيقي ببلدة المرية عام 771 هـ(16).

وكانـــت حاضـــرة الدولـــة ، وقاعـــدة الملـــك غرناطـــة محـــط أنظـــار الطـــلاب والعلماء ، وخاصة بعد إنشاء جامعتها في عام 750 هـ ، في عهد السلطان يوسف أبي الحجاج (733 – 755) " فتمت وكملت أوقافها " (17) ، باشارة مدبر ملكه وسائس أمره الحاجب رضوان أبي النعيم رضوان النصري ، " حسنة الدولة النصرية وفخر مواليها "(18) ، التي عرفت بالمدرسة اليوسفية نسبة إلى السلطان يوسف أبي الحجاج الذي أنشئت في عهده فأمها الطلاب من كل مكان في الأندلس وخارجها .

فكان ابن جابر ممن قصدها للقاء العلماء والشيوخ بها ، والجلوس إليهم لمتابعة رسالته العلمية وتحصيله الدراسي ، ورغم ندرة المعلومات التي تعطيها المصادر التي تعرضت لحياة ابن جابر في الأندلس ، والتعتيم الذي شمل حياته ، خاصة الناحية العلمية ، بعد قدومه إلى غرناطة ، قاعدة الدولة النصرية ، ومركز الحركة الثقافية بالاندلس عصرئذ، إلا أن بعض الإشارات التي وردت في كتاب الإحاطة، في الترجمة المبتسرة التي خصه بها ابن الخطيب مواطنه و معاصره (19) ، والتي جعلت الكثير من العلماء ممن ترجم لابن جابر بعد ابن الخطيب ، ينبه إلى تقصير ابن الخطيب في حق الشمس ابن جابر، ويحاول انصافه بترجمة مطولة ، وايراد نماذج مختارة من شعره(20) ، تدل ترجمة ابن الخطيب في " الإحاطة " على أن أبن جابر قدم الحضرة غرناطة ، بل كان من المادحين لسلطانها آنذاك أبي الحجاج يوسف النصري (733 – 755) ، فقد نقل ابن الخطيب قصيدة لابن جابر يمدح السلطان المذكور،ولم يورد منها ابن الخطيب إلا اختيارات محددة ، قال ابن لخطيب : " ومما نقلناه من خبرة قيده – يقصد ابن جابر– لصاحبنا الفقيه الاستاذ ابي علي منصور الزواوي مما ادعاه لنفسه " (21)

علي لكل ذي كرم زمام ولي بمدارك المجد اهتمام

وقد اورد المقرى عشرة أبيات من اولها نقلاً عن الإحاطة كما يقول : ثم قال : "سرد لسان الدين القصيدة بتمامها ، و ذكر بعد ما سبق أثنين وستين بيتاً ولم نثبتها لطولها " (22) ، ويبدو أن المقرى قد اطلع على مخطوطة من الإحاطة غير المنشورة ، اذ لم يرد في " الإحاطة " المنشورة

إلا خمسة وثلاثون بيتاً ، وهي كما يبدو قصيدة مطولة فعلاً ، لأن ابن الخطيب بعد أن اورد حوالي واحداً وثلاثين بيتاً قطعها وقال : " ومنها " ثم أتى بأربعة أبيات فقط ، مما يدل على انه قد حذف منها ، وما أورده هو ما اختاره.

و عقب ابن الخطيب – و قد نقل المقري ذلك على هذه القصيدة بقولة : " نجزت وما كادت ، وقد وطأ الإيطاء قروحها ، وأعيا الاكثار سروحها والله ولي التجاوز بفضله " (23) .

وقد كتب على ابن لسان الدين على هذه القصيدة ، حين اطلع على نسخة الإحاطة ، بعد رحلته إلى المشرق، و قد اعجبته كما يبدو " نزعة معرية " (24).

و كذا كتب ابن مرزق العجيسي ، على قول لسان الدين في الإحاطة ، " نجزت وما كادت " ، ما أنصف المنصف هذا الفاضل في ترجمته ، وقدره شهير ،ومكانه من الفضيلة كبير ،وعلمه غزير ، ولعله لم يطلع إلا على ما أودعه " (25) ، مما جعل على لسان الدين ، يكتب إثر قول ابن مرزوق هذا وقد غاظه : " نعم يا سيدي أبا عبد الله ابن مرزوق ، لم ينصف المترجم به المؤلف ، ولولا أنهما بالحياة ما صدر منكم هذا التنبيه ، ولو حصلا تحت الصفيح لم تعملوا فيهما قلماً ، هكذا شأن الدنيا بقلة الوفاء شنشة معروفة ، والحقد على الأموات شأن المغاربة " (26) .

هكذا إذن كان ابن جابر من الوافدين على غرناطة حاضرة الدولة النصرية ، للدراسة ولمشاركة أعلامها في مديح السلطان يوسف أبي الحجاج كما هي السنة التي سار عليها معظم أعلام وأدباء هذا القرن .

ولا شك ان غرناطة كانت تزدحم بالطلاب والعلماء والشيوخ في هذا الوقت ، فلا بد أن يكون ابن جابر قد لقي الكثير منهم ، واخذ عن جملة وافرة من اساتذة المدرسة النصرية وشيوخها وعلمائها ، ولكن المصادر كعادتها تسكت عن هذا الجانب ، ولا تشير لشيء ينير لنا الطريق ، ويبين لنا كيف كانت حالة صاحبنا العلمية هنا ، وما المدة التي قضاها في غرناطة ؟ ومتى تمت تلك الرحلة ؟

ولكن ابن الخطيب يشير إلى عالم الأندلس في وقته ، محمد بن على بن احمد الخولاني ، أبي عبد الله المعروف بابن الفخار البيري ، " أستاذ الجماعة ، وعلم الصناعة ، وسيبويه العصر ، وأخر الطبقة من

أهل هذا العصر ..وقل في الأندلس من لم يأخذ عنه من الطلبة " (27) ، فربما كان أبن جابر ممن أخذ عنه في هذه المرحلة ، خاصة أن ابن الجزري تلميذ ابن جابر، وصاحبه الرعيني يشير في ترجمته لابن الفخار البيري إلى ان شيخة الرعيني رفيق ابن جابر في رحلته المشرقية وصاحبه، كان من تلاميذ ابن الفخار البيري ، قال ابن الجزري : " محمد بن احمد الخولاني الأندلسي ابو عبد الله المعروف بابن الفخار البيري ،والأستاذ الاوحد المقري الخطيب البارع ، خاتمة النحاة والقراء بالأندلس ، أخذ عنه القراءات شيخنا أبو جعفر أحمد بن مالك الغرناطي و اثنى عليه خيراً "(28). وقد توفي ابن الفخار البيري بغرناطة عام 754 هـ كما يقول ابن الخطيب تلميذه ،754 هـ ، أو 753 كما يقول الجزري (29) .

ونقف مرة أخرى امام نقطة محيرة وغامضة في حياة ابن جابر ، وهي رحلته إلى المشرق ، وليس ألمحير القيام بتلك الرحلة ، فهي سنة درج عليها كثير من علماء الأندلس منذ وقت مبكر، فقد كانت الرحلة في طلب العلم جزءاً اساسياً منه ، فبعد ان يكمل الطلاب دراستهم في شبه الجزيرة الأندلسية يذهب الكثيرون منهم إلى المشرق للقاء الأساتذة ، والأخذ عن العلماء في المراكز الثقافية هناك ، وهي رحلة قد تطول وقد تقصر (30) ، ولان الرحلة لابد منها في طلب العلم ، لاكتساب الفوائد والكمال بلقاء العلماء والمشايخ والرجال كما يقول ابن خلدون (31) .

ولذا لم يكن عجيباً أن يرحل ابن جابر إلى المشرق ، ولكن الغريب هو اننا لا نلقي ما يوضح لنا صورة تلك الرحلة وكيفيتها ، وهل تتلمذ ابن جابر على علماء في العدوة أو تونس أو غيرها قبل وصوله الي مصر ؟ فابن جابر لم يترك لنا برنامجاً أو ثبتاً بأسماء شيوخه ومروياتة عنهم الذين أخذ عنهم بمختلف طرق التحمل قراءة وسماعا ورواية وتلاوة وأجازه ، كما درج على ذلك عدد من علماء الأندلس قبله وبعده .

ونعود مرة اخرى إلى لسان الدين ابن الخطيب ، الذي رغم ما يظهره من تقدير لابن جابر في ترجمته المبتسرة في كتاب " الإحاطة " حيث يقول : " رجل كفيف البصر مدل على الشعر ، عظيم الكفاية والمنة على زمانتة ، رحل إلى المشرق وتظافر برجل من أصحابنا يعرف بابي جعفر الألبيري ، صارا روحين في جسد ، ووقع الشعر منهما بين لحي أسد ، وشمرا للكدية ، فكان وظيفة الكفيف النظم

، ووظيفة البصير الكتب، وانقطع الان خبرهما". أما متى صارت هذه الصداقة والصحبة الوثيقة بين ابن جابر والأديب المؤلف الأمام النحوي أحمد ابن يوسف بن مالك الرعيني الغرناطي ، صاحب ابن جابر في رحلته إلى المشرق وإقامته فيه، فهذا ما لم يهتم به ابن الخطيب ، ولم يشر إلية من قريب أو بعيد .

ولكن نعتقد ان ذلك تم خلال رحلة ابن جابر ، ووفوده على غرناطة فالرعيني كما نعلم غرناطي الولادة والنشأة فتصادف هوى الأثنين ، وتوطنت نفساهما على هذه الرحلة للحج ، ولقاء علماء المشرق ، وزيارة المراكز الثقافية هناك ، ويبدو أن الرحلة إلى المشرق قد بدأت من غرناطة عام 738 هـ ، فتلميذهما في الشام الجزري قد ترجم لشيخه فقال عن شيخه الرعيني : " أحمد بن يوسف ابن مالك الغرناطي إمام نحوي شيخنا .. وخرج منها حاجاً – يقصد غرناطة – سنة ثمان وثلاثين وسبعمائة (33) ، في حين قال عن شيخه ابن جابر: " محمد ابن أحمد بن جار الهواري ، أبي عبد الله الأندلسي الضرير النحوي الأديب ، شيخنا إمام بارع ، خرج من الأندلس حاجاً سنة ثمان وثلاثين وسبعمائة (34) .

وكانت الاسكندرية اولى المراكز الثقافية التي حط فيها ابن جابر رحاله مع صديقه الرعيني في رحلتهما إلى المشرق ، وتتلمذ على عدد من شيوخها ، وإن لم يسم واحداً منهم ، ولكنهم كانوا كثرة وافرة ، كما يدل النص التالي : " فقد كان ابن جابر من المعجبين بقصيدة كعب بن زهير المعروفة " بالبردة " وقد عارضها شعرا بقصيدة وردت في ديوانه " نفائس المنح وعرائس المدح " السابق ولم يكتف بمعارضتها تلك ، بل قرضها نثراً ، قال : " حدثني بعض شيوخنا بالاسكندرية بإسناده ، ان بعض العلماء كان لا يستفتح مجلسه إلا بقصيدة كعب ، فقيل له في ذلك فقال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلت يا رسول الله قصيدة كعب انشدها بين يديك ، فقال : نعم ، وانا أحبها و احب من يحبها ، قال : فعاهدت الله أن لا أخلو من قراءتها كل يوم " (35) .

ثم قدم ابن جابر صحبة رفيقه الرعيني القاهرة فدرس فيها على أثير الدين أبي حيان الاندلسي ، " نحوي عصره ولغويه ومفسره ومحدثه ومقرئه ومؤرخه وأديبه " (36) ، الذي قال عنه الصفدي تلميذه ، وقد خصه بترجمة مطولة : " ولم أر في اشياخي اكثر اشتغالاً منه لأني لم أره إلا وهو يسمع أو يشغل أو يكتب ، ولم أره غير ذلك " (37) .

ورغم ان ابن جابر لم تطل إقامته بمصر ، كما ينص على ذلك تلميذه الجزري : " فقدم مصر ، وأخذ عن ابي حيان يسيراً (38) ، إلا انها كما يبدو قد أعجبته ، فقال ، وقد اكثر في البيتين من

ذكر مصطلحات الحديث :

مازلت أسند من محاسن أرضها خبراً صحيحاً ليس بالمقطوع

كم مرسل من نيلها ومسلسل ومدبج من هضبها المدفوع

وكانت دمشق انذاك من اهم المراكز العلمية في بلاد الشام ، التي يقصدها ، العلماء والطلاب من كل مكان يأخذون عن شيوخها أو يتصدرون للتدريس أو الإقراء بها ، وزادت هذه الأهمية في القرنين السابع و الثامن الهجريين ، وقد قصدها الكثير من الطلاب والعلماء من الأندلس، واستقر الكثير منهم بها ، " واحدث الوافدون حركة علمية قوية"(39) ، ربما لشبهها ببلاد الأندلس من نواح كثيرة ، جعلت المقري يعلل رغبته في العودة إلى بلاد الشام بقوله : " تفاءلت بالعودة إلى أوطان لي بها أوطار، اذ التشابه بينهما قريب في الأنهار ، والأزهار ذات العرف العطار(40) .

وقد كثرت هذه الهجرة ، وزاد هذا الاستقرار لدى الأندلسيين ، في الشرق عموماً ، وفي الشام خصوصاً في القرنين السابع والثامن الهجريين ، بعد اضطراب أحوال الأندلس السياسية ، وتفكك أمرها ، وتكالب العدو في الزحف على اراضيها واشتداد حركة الاسترداد وتصاعدها ، منذ منتصف القرن السابع الهجري (41) .

وقد نال هؤلاء المهاجرون من اهل البلاد العناية والتقدير وتيسير سبل العيش الكريم لهم ، وذلك ما توضحه كتب الرحالة الأندلسيين الذين زاروا هذه البلاد ، وتحدثوا عن احوال مواطنيهم بها (42) .

يقول خوليان ريبرا عن هؤلاء المهاجرين إلى المشرق أساتذة وطلاباً (وكان طلاب الغرب الإسلامي الذين يذهبون ليدرسوا هناك يمثلون مع أساتذتهم جماعة مستقلة ، وتجري عليهم الأرزاق أساتذة وطلاباً) (43) ، فكانت دمشق هي وجهة ابن جابر وصاحبه الرعيني في ديار الشام ، فقد كانت دمشق في هذا القرن ، من اكبر المراكز الثقافية هناك ، وقطب الحركة العلمية الأولى بالشام ، التي تجمع فيها الكثيرمن العلماء والمشايخ و الرواة (وكانت دمشق في القرن الثامن من العواصم العلمية المرموقة ، فيها طائفة من مشاهير الأعلام ذوي المنزلة الممتازة ، والشهرة

الواسعة ، ناهيك بالحفاظ والمؤرخين الثلاثة ، ابي القاسم محمد بن يوسف البرزالي والذهبي والمزي) . (44)

وقد سمع ابن جابر الكثير بدمشق مع صاحبه الرعيني ، وهو ما يؤكد تلميذه الجزري توفي (833) في كتابة غاية النهاية في قوله : " ثم قدم دمشق و سمع بها الكثير مع صاحبه أحمد بن يوسف الرعيني " (45) ، وكذا الصفدي معاصره إذ قال : " قدم دمشق وسمع بها على اشياخ عصره " (46).

وتتلمذ ابن جابر لكثير من أعلام وقته بدمشق ، وإن لم تذكر المصادر فيما يبدو إلا المشاهيروالمتميزين منهم ، كيوسف ابن عبد الرحمن بن يوسف القضاعي الكلبي بدمشق المعروف بالمزي ، "محدث الديار الشامية في عصره لم تزالعيون مثله اوضح مشكلات ومعضلات ما سبق اليها من علم الحديث و رجاله " (47) . قال الحافظ الذهبي " اعظم من رأيت أربعة ، ابن دقيق العيد و الدمياطي وابن تيمة والمزي " (48) .

وكان المزي قد ولد بظاهر حلب عام 654 هـ ، ونشأ بالمزة من ضواحي دمشق، وتوفي بها عام 654 هـ ، ونشأ بالمزة من ضواحي دمشق ، وتوفي بها عام 742 هـ ، قال عنه التجيبي تلميذه ، حين ترجم له واثنى عليه كثيراً واشاد بفضله وعلمه وحفظه : " الشيخ الإمام الفاضل الناقد الحافظ لمقيد " (49) .

وكانت للحافظ تصانيف عديدة في علم الحديث ورجاله ، ذكر بعضها تلميذه محمد ابن جابر الوادي اشي ، توفي 749 هـ في برنامجه " .. تقدم أهل زمانه في معرفة علم الحديث وضبطه ومعرفة رجاله ، وله فيه التصانيف المفيدة ، " تهذيب الكمال في أسماء الرجال " و" الأطراف " وكل منهما في خمسة عشر مجلداً "(50).

وسمع ابن جابر الحديث بدمشق أيضاً من ابن كيار الدمشقي أبي عبد الله ابن على ابن محمد بن سوندك بن كيار الشافعي التركي ، " الشيخ الأديب الفقيه " توفي 730 هـ (51) . ثم رحل ابن جابروالرعيني رفيقه إلى بعلبك وسمعا الشاطبية ، من فاطمة بنت اليونيني بإجازتها من الكمال الضرير (52) ، قال ابن الجزري تلميذ ابن جابر في ترجمته لشيخه: " ثم قدم دمشق ، وسمع بها الكثير مع صاحبه أحمد بن يوسف ، ثم توجها إلى بعلبك فسمعا الشاطبية من فاطمة بنت الونيني ، بإجازتها عن الكمال الضرير . (52)

وكانت الحجاز من الأماكن التي استوطنها ابن جابر والرعيني وجاورا بها ، ودرسا بمراكزها الثقافية والعلمية في مكة والمدينة ، فقد تعددت زيارته إلى تلك المواطن التي أعطاها جزءا كبيراً من وقته ونظمه وعلمه ، وتمنى أن يقضي حياته مجاوراً بها ، وتكرر حجه مرات ، يقول الجزري يصف علاقة ابن جابر مع صديقه الرعيني وصحبتهما : " وكان بينهما من الاتفاق ما يتعجب منه ، وحجا مرات " (54) .

وفي شرح رفيقه الأديب الراوية أبي جعفر الرعيني لبديعية ابن جابر التي اسماها " الحلة السيرا في مدح خير الوري " ، وسمى الرعيني شرحه عليها " طراز الحلة وشفاء الغله " اشارة إلى تلك المجاورة والإقامة ، يقول الرعيني عند ذكر العقيق الذي ورد في قول ابن جابر في بديعيته :

دع عنك سلمى و سل ما بالعقيق جرى و أم سلعاً وسل عن اهله القدم

" ...وقد خرجنا إلى هذا الوادي ايام مجاورتنا بالمدينة الشريفة (55) .

وفي ترجمة ابن الجزري تلميذ ابن جابر والرعيني ، لشيخة الرعيني ، ما يؤكد تكرار الحج والمجاورة ، قال ابن الجزري: " ثم اقام بحلب هو وصاحبه أبو عبد الله محمد بن جابر الضرير ، وحجا مرات وجاورا " . (56)

وفي ديوان ابن جابر " نفائس المنح وعرائس المدح " اشارة إلى تلك المجاورة، وإلى بعض كتب الحديث التي كان يدرسها ويدرسها مع شيوخه وأقرانه من العلماء هناك ، ففي القصيدة رقم (3) من هذا الديوان ، يرد قول ابن جابر :-

كم جلسنا هناك نتلو حديث ال مصطفي في صباحنا والمساء

وباثر الحديث نشر مدحا رضيت عنه السن البلغاء

ان جار ومادح لك واسمي قد غدا كاسمك الشهير العلاء

وفي القصيدة رقم (13) نجد له :-

يارب هب لي سدادا في مجاورتي خير البرية واحفظني عن الريب

واجعل حياتي وموتي في حماه عسي يكون نته لدار الخلد منقلب

وارفع بها درجاتي يوم تبعثني وانفع بما حاز مدحي فيه من تخب

وفي القصيدة رقم (59) نجد قوله :-

اكون لسيد الثقلين جارا واخشي ان رايت الدهر جارا

اذا نظر الزمان الي مقيم بحضرة جاهه لزم الوفارا

محا اوزار من قد زار يوما فكيف بمن ثوي والركب سارا

ورد في القصيدة رقم (77) قول ابن جابر:-

ياجار احمد ان جار الزمان فقد صح الامان فكن بالعيش مغتبطا

لزائرزائل جادوا فكيف بهم لساكن راكن قد قر واغتبطا

جار علي كل جار منهم كرم قد كف حاجة راج كفه بسطا

وقال ابن جابر في تقديمه للقصيدة رقم (128) في الديوان السابق " واتفق نظمها عند ختم البخاري بالروضة الشريفة صلى الله علي مشرفها وسلم ثم قال بيت رقم (13) منها :

امام بيت رسول الله نتلو حديثه فيسمع من اخباره الغر ما قلنا

وبعد هذه الرحلة الطويلة في مغرب العالم الإسلامي ومشرقه ابتداء من الأندلس وطنه وانتهاء بالمدينة ومكة في المشرق ، كل ذلك دلالات يقينية على أن ابن جابر لم يقصد تلك المواطن المقدسة الطاهرة للحج فقط بل للدراسة ولقاء العلماء والشيوخ بها أيضاً ولمتابعة رسالته العلمية التي هي جزء أساسي من هذه الرحلة التي طوف فيها بالمراكز والحواضر العلمية الطويلة التي تتبعنا خلالها ابن جابر ، والتي جعلت مواطنه ابن الخطيب يقول عنه " محسوب من طلبتها الجلة – يقصد الأندلس – ومعدود فيمن طلع بافقها من الأهلة ، رحل إلى المشرق وقد أصيب ببصره واستهان في جنب ومعدود فيمن طلع بافقها من الأهلة ، ورحل إلى المشرق وقد أصيب ببصره واستهان في جنب الاستفادة بشقة سفره على بيان عذره ووضوح ضره " (57) .

ويبدوا أن النص بالخصوصية على أسماء معينة من شيوخ ابن جابر ، سواء في الأندلس أو المشرق ، إنما يرجع إلى تميز هؤلاء الأعلام ، وشهرتهم الواسعة في هذا الوقت والشرف العظيم الذي يناله من يتتلمذ على أيديهم ، وينسب إليهم أو لطول الملازمة لهم ، وكثرة العلوم التي تلقاها ابن جابر عنهم ، بحيث لا تعد الكثرة الأخرى الذين اخذ عنهم علماً بعينة أو رواية محددة ، أو جلس إليهم لفترة وجيزة ، وإلا فمما لا شك فيه ان شيوخه كثيرون في كل موطن حل فيه أو رحل إليه ، وهو ما يؤكده

معاصره وصديقه الصفدي في ترجمته لابن جابر ... ثم قدم دمشق وسمع بها الكثير مع صاحبه(59)،وكان طبيعياً بعد ذلك أن يشتهر ابن جابر ، و أن تتعدي هذه الشهرة نطاق المكان الذي أقام فيه ، وجعله موطناً نهائياً له حتى وفاته عام 780 هـ وقد ظل ابن جابر ينشر العلم وينثال عليه الطلاب بجلب لأكثر من ثلاثين سنة ،منذ ان استقر بالبيرة قرب سمياط عام 743 هـ ، وحتى وفاته بها عام 780 هـ ، كما أسلفنا (60) .

يقول المقري في النفح عن هذه الشهرة التي نالها ابن جابر وصديقه الرعيني في الشرق " ولنقتصر من كلام ابن جابر في هذا الموضوع على هذا القدر ، وإنما أطنبت فيه لما تقدم من الأعتراض على لسان الدين من أهل عصره ، وأيضاً فإن كليهما غريب عندنا بالمغرب ، لكونهما ارتحلا قبل أن يشتهرا كل الاشتهار،وكان خبرهما في الشرق أشهر"(61).

والمقري هنا يشير إلى الاعتراضات الكثيرة التي أثيرت حول تقصير لسان الدين في ترجمته لابن جابر والرعيني ،فلم يذكر لابن جابر إلا ترجمة مبتسرة في كتابه الإحاطة ، وشيئاً لا يعتد به من شعره (62) .

ومن تلك الاعتراضات قول الشيخ ابن مرزوق عقب اطلاعه على إحدى قصائد ابن جابر في مدح السلطان ابي الحجاج يوسف النصري : " ما انصف المنصف هذا الفاضل في ترجمته ، وقدره شهير،ومكانه من الفضيلة كبير وعلمه غزير ولعله لم يطلع إلا على ما أودعه " (63) ، وهذا الموقف هو ما دفع على بن لسان الدين إلى انصاف ابن جابر من ناحية ،والاعتذار عن تقصير والده في حقه من ناحية اخرى ، بعد رحلته إلى المشرق وإطلاعه على نسخة الاحاطة التي بعث بها والده ابن الخطيب في حياته عام 767 هـ مع نسخة من كتابه "روضة التعريف بالحب الشريف " لتوقف على طلبة العلم بخانقاه سعيد السعداء بمصر (64) ، وكان لعلي بن لسان الدين الكثير من الهوامش والتعليقات والحواشي المفيدة على كتاب أبيه " الإحاطة " إما تكميل ما أغفله أبوه ، أو إخبار عما شاهده أو رواية عن المترجم به ، أو جواب عن ابيه فيما انتقد عليه " (65) .

ومنها تعقيب على قول ابن مرزوق السابق،"نعم ياسيدي أبا عبد الله ابن مرزوق لم ينصف المترجم به المؤلف،ولولا انهما بالحياة ما صدر منكم هذا التنبيه ، ولو حصلا تحت الصفيح لم تعملوا فيهما قلماً ،

وهكذا الدنيا بقلة الوفاء شنشنة معروفة، والحقد على الأموات شان المغاربة " (66) .

وكان المقري نفسه أول المعترضين على لسان الدين ، حين قال غير ما سبق : " ولاخفاء إن لسانالدين لم يستوف حقوق الشمس ابن جابر الهواري المذكور ، مع انه له محاسن جمة " (67) ، وهي عبارة واضحة الدلالة على ما كان يتمتع به ابن جابر من منزلة علمية جليلة في وقته ، بلغت حد الامامة التي لم يبلغها إلا القليل من العلماء .

وكان على بن لسان الدين من الشاهدين على تلك المكانة العلمية لابن جابر ، ومن المعترفين بتقصير والده في حقه في الآن معا ، قال وقد طالع احدى قصائد ابن جابر في احاطة ابيه ، " عارضة قوية ، ونزعة خفاجية ، كيف لا ، والشيخ أبو عبد الله صدر صدور الأندلس علماً ونظماً ونحوا ، زاده الله تعالى من فضله " (68) .

وقال في موطن أخر معتذراً عن تقصير أبيه في حقهما " نعم الرجلان – يقصد ابن جابر ورفيقه الرعيني – أحسن الله تعالى إليهما ، فلقد أحسنا الصحبة في الغربة،وانفردا بالنزاهة والفضل وعلوالهمة،إلا أن المصنف قصر في حقهما بعض القصور، ومنهما يطلب الأعفاء والصفح ، فالرجل مات وذكر الأموات بالخير مشروع ، وهما والله الشرف الباهر بقطرهما ، علماً وفضلاً أمتع الله تعالى بهما (69) .

وكان قد قال قبل ذلك معلقاً على قول ابيه: " وانقطع الان خبرهما " (70) ، هما الان بالبيرة من حلب تحت انعام ولطف ، تحث اليهما الرواحل وتضرب إليهما آباط النجب" (71) وهذه المترلة الرفيعة التي وصلها ابن جابر ورفيقه الرعيني ، هو ما تجمع عليه كل المصادر التي تعرضت لحياتهما،وهو السبب ذاته الذي دعا ابن فضل الله العمري صاحب " مسالك الأبصار " حين سمع بذلك ، ووصله شيء من شعر ابن جابر ونقله في مسالكه ، أن يحرص على الرحلة إليه ، والأخذ عنه وإن لم يتفق له ذلك (72) ، ولقد اختار ابن جابر ورفيقه الرعيني الإقامة بحلب وحطا معاً عصا التسيار بها ، بعد أن طوفا في سبيل العلم ولقاء الشيوخ والعلماء والأخذ عنهم والرواية لهم مدة معينة ، فتصدر

للتدريس والإقراء بها ونشر العلم ، وهو امر ليس هيناً و لا سهلاً في هذا الوقت،في مدينة كانت تمثل القطب الثاني للحركة العلمية والثقافية بالشام ، وبها الكثير من العلماء والفقهاء والشيوخ ، الذين بلغوا شاواً بعيداً في العلم دراسة وتدريساً (73)

وكانت حلب بما تحويه من دور كثيرة للعلم واهله ، وما فيها من مغريات علمية ومادية،تجذب إليها أنظار العلماء والشيوخ،وتجعلها محط أنظار الكثيرين منهم ، وهناك دون قيود ينالون المنزلة السامية،طالما كانت مؤهلاتهم العلمية والثقافية تحقق لهم ذلك ، فقد كان للعلماء والفقهاء منزلة متميزة ورفيعة لدى الخاصة والعامة ، يتقربون منهم و يتوددون إليهم ، ويسعون في تحقيق مصالحهم ، خاصة إذا علمنا ان مصر و الشام كانا يعدان بلداً واحداً في ذلك الوقت ، ويخضعان لنظام سياسي موحد ، وأن الحركة العلمية بينهما كانت مفتوحة ، يتنقل العلماء حيث أرادوا دون قيود او حدود (74) ، فلما حط ابن جابر ورفيقه رحالهما في حلب في أخريات عام 743 هـ (75) ، تصدر للتدريس والإقراء فيها لأكثر من ثلاثين سنة ، ذاعت شهرتهما بها وخارجها ، وصارا مقصداً لطلاب العلم من كل مكان ، "وانتفع بهما أهل تلك البلاد " (76) ، بل صار ابن جابر أهلاً للفتيا فيها (77) .

وكان تلاميذ ابن جابر بحلب كثيرين،وفقاً لسعة علمه ، وطول ملازمته للإقراء والتدريس بها ، وشهرته الواسعة التي شهد بها معاصروه ، وكثرة الإجازات التي منحها لمن أدرك حياته " واجاز لمن أدرك حياته " (78) ، وإن خصت المصادر التي ترجمت له أسماء معينة من تلاميذه بالذكر واغفلت الكثير الجم فإنما لعدم قدرتها على الإحاطة بأعدادهم الكثيرة من ناحية ولتميز هؤلاء المذكورين بحيث صاروا من أعلام وقتهم الذين عرفهم القاصي والداني من ناحية أخرى ، كابن الجزري " محمد بن محمد الجزري " توفي 833 " ، الشيخ الإمام العلامة ، شيخ الإسلام إمام الحفاظ " (79) ، الذي لقب " إمام المقرئين وخاتمة الحفاظ المحققين الذي اندرست بموته كثير من مهام الاسلام " (80) .

وكان من تلاميذ ابن جابر بالمدينة ،قاضيها ابراهيم بن على بن محمد بن فرحون اليعمري المالكي ، كان أصله من جيان،من شرقي الأندلس ،ثم استوطنت أسرته المدينة،وبها ولد ابن فرحون ، وسمع وقرأ على جملة من أعلام عصره ، منهم ابن جابر الهواري ، الذي سمع عليه الحديث أثناء مجاورته بالمدينة المنورة .

وكانت العلاقة وطيدة بين ابن جابروالصفدي معاصره، كما يظهر من ترجمة الصفدي له في كتبه " كالوا في بالوفيات " و" نكت الهميان " وغيرها ، فيذكر الصفدي ان ابن جابر طلب منه إجازة عامة في رواية روياتة ومؤلفاته شعراً ونثراً ، فكتب ابن جابر إلى الصفدي قائلاً:(81)

ان البراعة لفظ انت معناه وكل شيء بديع انت مغناه

ان ابن جابر ان تساله معرفة محمد عند من نادي فسماه

لما عمرت مجالس السمع منه بما لو جال في سمعي ملحود لاحياه

وافكم مستجيزا والاجازة من امثالك اليوم احري ما سالناه

فالفظ مجيزا لنا ما صغت من كلم ينازع الروض مراه ورياه

اجازة شملت ما قد رويت وما االفت يانخبة فيمن رايناه

فعش لنظم المعاني في مواضعها ودم لوارف عز طاب مجناهس

فكتب إليه الصفدي إجازة صدرها بقوله :-

يا فاضلا كرمت فينا سجاياه وخصنا باللاليء في هداياه

ايهِ تفضلت بالنظم البديع فما اعلاه عندي من عقد واغلاه

اقسمت لو سمعته اذن ذي حزن في الدهر الزمه البشري والهاه

ولست اهلا لان تروي فضائح ما عندي لاني من التقصير اخشاه

وليس الا الذي ترضاه فاروعن ال مملوك ما روحت تهواه وترضاه

وهكذا تنوعت مصادر المعرفة لدى ابن جابر ، وكذلك العلماء الذين أخذ عنهم في المغرب والمشرق ، فكانت نتيجة ذلك عطاء متعددا في فروع المعرفة التي عرفت في عصره ، وكثر الطلاب والأخذون عنه في المشرق ، بعد استقراره في حلب ، التي منها انطلقت شهرته لطلاب العلم ومريدية .

اثار ابن جابر :-

تعددت الروافد العلمية التي امتاح منها محمد بن احمد بن جابر الهواري الأندلسي،وتنوعت مصادر معرفته ،العلمية والثقافية ، وفق الاساليب التي سارت عليها الثقافة والمعرفة الإسلامية في وقته ، التي من ابرز سماتها طبيعتها الموسوعية ، التي لا تقتصر على علم بعينة أو تخصص محدد كما نعرفه

الان ، وهذا ما اعطاه زخماً قوياً والقى بظلاله على تدفقها ونموها عبر العصور السابقة ، ومنها القرن الثامن الذي عاش فيه ابن جابر .

فقد كان العالم والفقيه والشيخ والديب والشاعر،والأديب بصورة عامه ، متعدد المعارف ، وعلى المام يطول أو يقصر بكل أنواعها في وقته ، ، وكان عليه أن يلم بعلوم عصره ، كالعلوم الدينية بفروعها من فقة وفرائض وغيرها ، وعلوم العربية من نحو وصرف وبلاغة وعروض وغيرها ، وأن يلم بالعلوم الأخرى ، والمعارف العامة المتاحة في ذلك الوقت وإن برز العالم في جانب أو جوانب معينة أو غلب عليه علم معين ، كالنحو أو الفقه أو التفسير أو الأدب عامة أو الشعر ، فلا يعني ذلك انه يجهل بقية المعارف و العلوم الأخرى التي يتطلبها وقته ، فكلها روافد تصب في حقل المعرفة التي يحتاجها كل مثقف ، فقيه أو نحوي أو اديب أو شاعر أو قاض أو مفسر أو عالم ....الخ .

وقد عكست مؤلفات ابن جابر هذه الروح،وصورة الطبيعة الموسوعية لعصره وكانت صورة منطقية لعلوم ومعارف القرن الثامن الهجري الذي انصب فيه الاهتمام على التأليف الموسوعي والشروح والتلخيصات ،ونظم العلوم و المعارف المختلفة ، لتقريبها للدارس و تسهيل حفظها ، و إظهار البراعة الفنية في مثل هذه المؤلفات .

و لا يعني ذلك أن هذا القرن كان خالياً من كل جديد ، أو على الأقل خالياً من المحاولة في هذا الاتجاه فلكل عصره طبيعته الخاصة ، و اتجاهه العام الذي يهيمن على مسار الثقافة فيه، ويعبر عن اتجاهها العام ، و لا يستطيع المثقف إلا ان يستجيب إلى تلك المؤثرات العامة ، ويتفاعل معها شاء أم أبى .

ولذا فقد شارك ابن جابر عصره بمؤلفاته التي تنهج هذا النحو ، و تعكس طبيعة الثقافة في هذا القرن ، فكان من مؤلفاته:-

1. نظم فصيح ثعلب ، و سماه " حلية الفصيح في نظم ما قد جاء في الفصيح " (82)واتمه في البيرة قرب حلب في المحرم عام 747 هـ .

وكان كتاب الفصيح لأبي عباس ثعلب مركزاً لدراسات وبحوث و شروح وتعليقات ونقد في عصور مختلفة،وهذه الأهمية هي التي أغرت تسعة واربعين عالماً من ابرز العلماء

بشرحه ونظمه وانتقاده (83) ، و لم يكن ابن جابر هو اول من نظم هذا الكتاب ، فقد تسابق العلماء في نظمه منذ ظهوره كما فعلت مع كتب أخرى غيره ، رغبه في تسهيل حفظه ،

و اظهار البراعة في التفنن فيالنظم (84) .

و ينتظم عقد هذا النظم في ثمانين وستمائة و ألف بيت ، يبدأها ابن جابر بقوله:-

الحمد لله علي ما سدده فهو الذي الهمنا أن نحمده

و يختمها بقوله :-

في تمام سبعة وأربعينا من بعد سبعة من المئينا

2. شرح الفية ابن مالك ، قال عنه ابن العماد الحنبلي : " كتاب مفيد جليل يعتني بإعراب الأبيات " (86) ، و قال عنه السيوطي قريباً من ذلك: " و هو كتاب مفيد يعتني بإعراب الأبيات وهو جليل جداً نافع للمبتدئين " (87) .

و قد نهج ابن جابر في هذا الشرح طريقة ميسرة للمبتدئين من الطلاب في دراسة النحو ، وذلك انه يشرح أبيات الألفية ثم يعربها ، لأنه رغم الأهمية البالغة لمؤلفات العلامة ابن مالك الأندلسي التي اتسمت بالجدة و الابداع، والتي شغلت من اتوا بعده من العلماء بشرحها والتعليق عليها ، إلا ان الاسلوب الذي انتهجه ابن مالك فيها عسر الفهم و الإدراك و المبتدئين ، إضافة إلى السعة و التنوع في المعلومات التي تضمنتها هذه المؤلفات من مسائل النحو المعقدة ، مما قلل من حجم الاستفادة منها ، أذا ما ارغم الطلاب على دراستها مباشرة ، كما وضعها مؤلفها ابن مالك ، لذا لم يكن غريباً أن يقبل الكثيرمن العلماء كابن جابر و غيره على شرحها ، و تبسيطها للدارسين بطريقة أو بأخرى (88) .

3. شرح الفية ابن معط في ثمان مجلدات كما يقول ابن القاضي والزركلي (89) ، أو ثلاثة كما قال غيرهم (90) .

4. نظم " كفاية المتحفظ و نهاية المتلفظ " للقاضي شهاب الدين أبي عبد الله محمد ابن أحمد الخوي ، المتوفي 693 (91) ، و سمى نظمه "عمدة المتلفظ في نظم كفاية المتحفظ"

5. مجموعة قصائد في العروض ، لامية و تائية و دالية ، بمكتبة باريس الوطنية .

6. منحة الإعراب و سنحة الآداب ، أو كما تعرف " المنحة في اختصار الملحة " .

7. قصيدة في المقصور و الممدود .

8. قصيدة رائية في المثلث بعنوان " غاية المرام في تثليث الكلام " في اثنين و سبعين ومائتي بيت.

9. قصيدة ميمة في الضاد و الضاد ، قال ، الزركلي في الأعلام : " اقتنيت نسخة منها مضبوطة ضبطاً جيداً (92).

10. قصيدة بائية في النحو .

11. وسيلة الأبق " أرجوزة جمع فيها أسماء الصحابة والتابعين على مارواه ابو نعيم (93).

12. بديعية العميان المسماة " بالحلة السيرا في مدح خير الوري " قصيدة رقم "119" بديوان " نفائس المنح وعرائس المدح " السابق ، وجعلها محمود مكي ، اشهر البديعيات التي اتخذت فن البديع ، و جعلته مطية للمديح النبوي ، (94) .

وقد شرح ابن جابر بديعيته هذه شرحاً مختصراً جدا ، لم يرض صديقه أبا جعفر الرعيني ، لشدة اختصاره ، وقصوره عن استيعاب ما في البديعة من فنون ، لذا شرحها الرعيني شرحاً متوسطاً ليس بالطويل الممل ولا بالقصير المخل ، سماه " طراز الحلة وشفاء الغلة " لحل رموزها ، وما استغلق من معانيها (95) .

وقد حقق هذا الشرح للماجيستير بالأزهر سنة 1985 م ، وقد اشار الغرناطي في مقدمته لذلك الشرح إلى الباعث الذي حملة على عمله هذا فقال : " فإنه لما كانت القصيدة المنظومة في علم البديع المسماة " " بالحلة السيرا في مدح خير الوري " التي أنشأها صاحبنا الإمام العلامة شمس الدين أبو عبد اله محمد بن جابر الإندلسي نادرة في فنها ، فريدة في حسنها يجتني ثمر البلاغة من غصنها ، وتنهل سواكب الاجادة من مزنها ، لم ينسج على منوالها ، و لا سمعت قريحة بمثالها ، رأيت أن أضع لها شرحاً يجلي عرائس معانيها لمعانيها ، و بيدي غرائب ما فيها لموافيها ، لا أمل الناظر فيه بالتطويل ، ولا أعوقه بكثرة الاختصار عن مدارك التحصيل ، فخير الأمور أوسطها ، والغرض ما يفي بالمقاصد ويضبطها فأعرب عن ألفاظها كل خفي ، و اسكت عن لغاتها كل جلي " (96) .

وقد اختصر هذا الشرح محمد ابراهيم البشتكي ، و سمى مختصره " منتقي شرح بديعية ابن جابر " (97) .

ويبدو ان هناك أكثر من اختصار او انتقاء من شرح الغرناطي المذكور ، فقد أشار الدكتور قلقيلة في كتابه " النقد الأدبي في العصر المملوكي " إلى وجود منتقى أخر لشرح الرعيني الغرناطي ، لعز الدين الموصلي قال : " إن لعز الدين الموصلى في نطاق البديعيات ثلاثة أعمال هي :-

- قصيدته البديعية المسماة " الفتح الألى في مطارحة الحلى " .
- وشرحها الذي سماه " التوصل بالبديع إلى التوسل بالشفيع " .
- المنتقي من شرح بديعية ابن جابر الغرناطي ، والبديعية مطبوعة اما شرحها والمنتقي ، فمخطوطان ضمن مجموعة مكونة منهما ومن بديعية المغاربة مشروحة ، بقلم الشيخ شمس الدين أبي عبد الله بن احمد بن علي الأندلسي المغربي الهواري تزيل حلب " (98) .

ويبدو ان لهذه البديعية شروحا أخرى كثيرة بعضها معروف وبعضها لا يزال مجهولاً أو مفقوداً ، فيشير كاتب مخطوط ديوان ابن جابر السابق " نفائس المنح وعرائس المدح " عقب انتهاء البديعية في الديوان المذكور ورقمها "119" إلى وجود عدة شروح أخرى غير ما ورد ، لعلها قد ضاعت أو عدا عليها الزمن ، كما عدا على كثير من المؤلفات الأخرى ، التي ضاعت في خضم ذلك الصراع السياسي الثقافي الطويل الذي أصاب هذه الأمة و تراثها في المغرب والمشرق ، أو لعلها لا تزال تقبع في زوايا النسيان والاهمال و في المواطن التي لم تصل إليها أيدي الباحثين بعد هنا أو هناك يقول كاتب الديوان " كلمت البديعية بحمد الله و حسن عونه ، ورايت لها شرحين ، كبير و صغير ، فالصغير كتبته بيدي وهو للرعيني ، واما الكبير فرأيته في نحو عشرين كراسة من القالب الكبير ، وفيه من البديع و الأدبيات ، وجميع العلوم ما الله به عليم ، ورأيت لهذه القصيدة شرحاُ ثالثاً بخط شيخنا سيدي أبي القاسم البجائي الإمام اللمتوني ، نفع الله به وبأمثاله ، واثاب الجميع "

13. " المقصد الصالح في مدح الملك الصالح " (99) ، وهو ديوان شعري ضخم في مدح السلطان الصالح ابن المنصور محمد قلاوون الصالحي الارتقي ، وكان هذا السلطان ممدحاً للشعراء ، وعاش في كنفة وتحت رعايته عدد منهم غير ابن جابر .

وصفه ابن بطوطة في رحلته حين دخل ماردين بقوله : " هو الملك الصالح ابن الملك المنصوري ، ورث الملك عن أبيه والمكارم الشهيرة ، و ليس بأرض العراق والشام ومصر أكرم منه ، يقصده الشعراء والفقراء فيجزل لهم العطايا جرياً على سنن أبيه قصده أبو عبد الله محمد بن جابر الأندلسي المروي الكفيف مادحاً فاعطاه عشرين ألف درهم ، وله الصدقات والمدارس والزوايا لاطعام الطعام " (100) .

وقد وصف الدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور فترة حكم هذا السلطان الخيرة ، التي اتسمت بالقوة و الاستقرار والطول " وقد دام حكم الناصر في تلك المدة الثالثة إحدى وثلاثين سنة وهي مدة طويلة ، لم يدانية فيها سلطان أخر من سلاطين المماليك ويمثل هذا العصر بالذات أعظم حلقات تاريخ عصر المماليك ازدهاراً ، وأكثرها رقياً واستقراراً ، ذلك أن نفوذ الناصر محمد امتد من المغرب غرباً حتى الشام والحجاز شرقاً و من النوبة جنوباً حتى اسيا الصغرى شمالاً " (101) .

وكان هذا السلطان من اعظم سلاطين المماليك ، وكانت بينه وبين سلطان المغرب أبي الحسن المريني مراسلات ومهاداة ، وكذا سلطان غرناطة في تلك الفترة الغني بالله النصري (755 – 793 هـ) كانت بينهما مراسلات في شؤون المسلمين ، والأحداث السياسية التي تعصف بهم سواء في المغرب أو المشرق ، فقد كانت الحملات الصليبية على أشدها في هذا الوقت ، مما اوقع في نفوس الناس عامة و خاصة ، قلقاً شديداً على مصير الإسلام و أهلة (102)

14. "ديوان العقدين في مدح سيد الكونين " و هما عقدان أو ديوانان في سلسلة مدح المصطفى صلى الله عليه وسلم ، التي وضعها ابن جابر الأندلسي وضمت اكثر من ثمانية الاف بيت شعري في مدحه صلى الله عليه وسلم (103) .

يقول ابن جابر في نهايتها : " هذا أخر ما امليته من العقد الثاني ، ووضعت فيه من جواهر الألفاظ و المعاني ، وبه تم نظم العقد و كمل ."

15. " ديوان نفائس المنح وعرائس المدح " الذي يضم نصف شعر ابن جابر تقريباً في المديح النبوي، أي حوالي أربعة الاف بيت .

وهو العقد الثالث من عقود ثلاثة أو الديوان الثالث من دواوين ابن جابر في المديح النبوي ، التي فضل الشاعر نفسه ان يطلق عليها عقوداً ، يقول ابن جابر في مقدمة هذا الديوان : " وقد جمعت في مدحه صلى الله عليه وسلم دواوين يتلو بعضها بعضاً ،واجنيت منها الاسماع ثمراً حلواً وزهرا غضاً ثم جئت بهذا الديوان ، كالغرة الواضحة في جبينها ، والدرة اللاحقة في ثمينها فهو على تأخره ، يستحق أن يكون واسطة العقدين ، وإنسان تلك العين ، و سميته " نفائس المنح وعرائس المدح " (104) ،

وقد وقع د. قلقيلة في وهم كبير و خلط حين عد كتاب "المعيار في نقد الاشعار " من مؤلفات ابن جابر ، و عده بذلك أحد نقاد العصر المملوكي ، بتأليفه لهذا الكتاب ، قال : " وقد كان ابن جابر أحد نقاد العصر المملوكي بكتابه الممتع " المعيار في نقد الاشعار " وهو يحوي على واحد و عشرين باباً ، تعالج في شيء من الطرافة والجدة موضوعات بلاغية ونقدية " (105) .

و هو أمر غريب حقا ، فلم تذكر المصادر التي ترجمة لابن جابر أن له كتابا بهذا الاسم ، ولا أشارت له من قريب أو من بعيد ، فلم نعلم كيف صحت نسبة هذا الكتاب إليه دون تدقيق أو تحقيق ، اللهم إلا أن يكون هذا الوهم سببه جهل مؤلف هذا الكتاب وتجاهل المصادر المختلفة له أو التعرض لهذا الكتاب ، أو نسبة مؤلف هذا الكتاب أبي عبد الله جمال الدين محمد بن أحمد الأندلسي إلى الأندلس ، كما نسب ابن جابر إليها أيضاً ، وتشابه الأسماء والألقاب بينهما هو السبب ، رغم ان مؤلف كتاب المعيار ، يلقب بجمال الدين في حين يلقب ابن جابر بشمس الدين .

وهذا الوهم جر وراءه د . محمد زغلول سلام في كتابه " الأدب في العصر المملوكي " (106) ، وأوقعه في الخطأ نفسه حين عد كتاب " المعيار في نقد الأشعار " من مؤلفات ابن جابر، فقال في حديثه عن علماء البلاغة في هذا العصر : " محمد بن أحمد الأندلسي ، و توفي عام 780 ، صاحب " بديعية العميان " و " المعيار في نقد الأشعار " ثم واصل د. سلام ترجمته لابن جابر وحديثه عن مؤلفاته، وصاحبه أبي جعفر الرعيني الغرناطي ، إلى ان قال : " و له في ميدان النقد و البلاغة كتاب " المعيار في نقد الأشعار " و البديعية المذكورة – يقصد بديعية العميان ، التي شرحها رفيقه الغرناطي .

وكذا وقع د . سلام في الالتباس نفسه في كتاب تاريخ النقد العربي من القرن الخامس إلى القرن العاشر الهجري " فقال : " وننتقل من المشرق ومصر في القرنين السادس والسابع إلى المغرب مرة أخرى ، فنلتقي في القرن الثامن بكتاب أخر في نقد الشعر هو " المعيار في نقد الأشعار " " لمحمد بن أحمد بن على ابن جابر الأندلسي الأديب الكفيف ، الذي طاف ببلاد المشرق ، ومر بمصر وتأثر الى حد كبير بدراسات المشارقة في النقد والبلاغة في عصره " ثم راح د. سلام يدرس هذا الكتاب الخاص بنقد الشعر، ويستعرض مؤلفة فيه ، ومنهج لكتاب وموضوعاته النقدية على انه لابن جابر الضرير ، دون أن يقع في ذهنه، أو يتطرق إليه الشك أن هذا المؤلف ليس لابن جابر الضرير ، و إنما هو لمؤلف أندلسي أخر هو أبو عبد الله جمال الدين محمد ابن أحمد الأندلسي ، وأن جهل الكتاب أو مؤلفه ، أو تشابه الأسماء او النسبة إلى الأندلس ليس مبرراً للخلط بين الرجلين .

ويشير د. محمد سليمان هنداوي ، الذي حقق الكتاب المذكور ، إلى هذه الصعوبة في مقدمته بقوله : " كتاب المعيار في نقد الأشعار " لأبي عبد الله جمال الدين محمد بن احمد الأندلسي ، ولا ادري لماذا غفلت كتب التراجم عن هذا الكتاب على الرغم من اهميته، فقد بحثت عنه في الكتب التي تتحدث عن أسامي المؤلفات واصحابها ، مثل كشف الظنون ، وهدية العارفين وتاريخ الأدب العربي لبروكلمان وغيرها ، فلم أجد أسم هذا الكتاب في هذه المراجع ، و بحثت أيضاً عن ترجمة للمؤلف في كتب التراجم ، على الرغم من كثرتها ، وتتبعت من يسمي محمد بن أحمد الأندلسي ،وهم كثير ، و لم اهتد بعد طول عناء إلى بغيتي من الحصول على ترجمة ولو يسيرة للمؤلف ، ويبدو أن ذلك هو السبب في أن هذا الكتاب لم تمتد إليه يد العلماء ، وعقول المفكرين و الأدباء لإخراجه وتحقيقه(107).

وكان د. محمد رضوان الداية ، قد ذكر هذا الكتاب في كتابه " تاريخ النقد الأدبي في الأندلس " و عنوانه كاملاً كما ذكره " المعيار في نقد الأشعار وفارق بين النقاة و المختار ، وطرف في فنون البديع ، من النثر والنظم البارع الرفيع تأليف العالم العلامة العمدة الفهامة اللبيب ، المتفنن اللبيب أبي عبد الله جمال الدين محمد ابن أحمد الأندلسي رحمه الله (108) .

وعقب د. الداية على الوهم الذي وقع فيه د. سلام بنسبة كتاب المعيار لابن جابر بقوله : " والحق ان ابن جابر دخل المشرق و تأثر بالمشارقة ، وترجم له في الدرر الكامنة " ومنه

نقل الدكتور سلام ولم يرجع إلى غيره كما يبدو – ولم يذكر في مؤلفاته " المعيار في نقد الأشعار " هذا وترجم له السيوطي في بغية الوعاة باسهاب فذكر من كتبه : شرح الألفية ، ونظم الفصيح ، وكفاية المتحفظ ، والحلة السيرا " قصيدة بديعية وشرح الفية ابن معط ، ولابن جابر صديق اسمه أبو جعفر احمد بن يوسف بن مالك الرعيني الأندلسي ، توفي قبل صاحبه بسنة 779 هـ ، وذكر له شرح الحلة السيرا ،وبين ما فيها من صنوف البديع ، فهذا الذي نعرفه للمؤلف الذي نسب إليه الدكتور تأليف المعيار (109)

ورغم صحة ما اشار إليه الدكتور الداية ، و اتفاقنا معه على أن هذا الكتاب ليس لابن جابر الأندلسي ، وأن ابن جابر كان من الشهرة بمكان في المشرق ، فلو كان الكتاب له لكان ذكر اسمه كاملاً في عنوان الكتاب ، إلا أنه كما سبق أن قلت أن الدكتور سلام إنما أعتمد في هذه المعلومة على كتاب د. قلقية السابق الإشارة إليه ،الذي يبدوأن الدكتور الداية لم يقع نظره عليه وما ذكره الدكتور الداية ، نقلاً عن السيوطي في بغية الوعاة ، من مؤلفات ابن جابر – كما هو واضح – إنما هو جزء منها و ليس كلها .

ويبدو أن اللبس والاضطراب والخلط لم يقتصر على مؤلفات ابن جابر وحدها ، بل تعداها ليصل إلى المؤلف ابن جابر نفسه ، فهذا احمد الشرقاوي إقبال مؤلف كتاب " بانت سعاد في المامات شتى " يقع في الخلط بين ابن جابر الضرير المتوفى بالبيرة في حلب عام 780 هـ ، و ابن جابر الوادي اشي القيسي المتوفى بتونس عام 749 هـ ، وسبب هذا الوهم كما يبدو عدم التدقيق والتحقيق والتأكد بمراجعة المصادر والمؤلفات التي تعرضت وترجمت للرجلين ، فهما شخصان مختلفان تماماً ، وإن تشابه لقبهما وشهرتهما ، فلقب كل منهما بشمس الدين ، وعرف كل منهما بابن جابر اختصار (110).

والذي ظنه المؤلف صاحب البديعية ، ليس هو ، فهو ابو عبد الله محمد ابن جابر محمد بن قاسم بن احمد ابراهيم بن حسان القيسي الوادي اشي ، ويلقب من الألقاب المشرقية بشمس الدين ، ويعرف باين جابر اختصاراً ؛ وبصاحب الرحلتين إلى المشرق مرتين ، روي عن كثيرين وروي عنه كثيرون (111) ، اما الذي عارض قصيدة كعب بن زهير المعروفة " بالبردة " فهو أبو عبد الله بن محمد ابن احمد بن علي بن جابر الهواري المري ، ومطلع قصيدته هو :

بانت سعاد فعقد الصبر محلول والدمع في صفحات الخد مبذول

كما نجد عند الدكتور شوقي ضيف أيضاً في حديثه عن مقصورة ابن جابر التي عارض بها مقصورة ابن دريد ، قوله : " و بدأ بالمقصورة ابن جابر الوادي أشى موضوعاً جديداً هو مديح الرسول صلى الله عليه و سلم ، و قد انشدها المقري في النفح مسمياً إياها بالمقصورة الفريدة ، و هي في أكثر من ثلاثمائة بيت من وزن الرجز، و جعل لقافية كل حرف من حروف الهجاء فيها عشرة أبيات و تلي الحرف دائماً الالف المقصورة "(112)

وغنى عن القول أن المقصورة هي لابي عبد الله بن محمد بن احمد بن علي بن جابر الهواري الأندلسي المري الضرير ، و ليست لابي عبد الله محمد بن جابر بن محمد أحمد الأندلسي الوادي اشي كما سبقت الإشارة إليه .

فلم تذكر المصادر التي ترجمت لابن جابر الهواري الوادي أشي ان له مقصورة و لم يذكرها في برنامجة الموسوم " برنامج الوادي أشي " الذي عدد فيه علومه و شيوخه و مروياته المختلفة ، و إنما المقصورة كما ذكرها المقري (113) الذي رجع إليه الدكتور شوقي ضيف و كما و ردت في ديوان ابن جابر قصيدة رقم (6) هي لابن جابر الهواري فلا أعلم كيف نسبها الدكتور شوقي ضيف للوادي أشي مع أن المقري أوردها في نفح الطيب بعد ترجمته لابن جابر الهواري الضرير وايراد نماذج طيبة من شعره من بينها القصيدة التي وري فيها بأسماء سور القرآن والمقصورة في معرض احتجاج المقري على الترجمة المبتسرة التي خص بها لسان الدين ابن الخطيب مواطنه ابن جابر في كتابه الإحاطه(114) ، ثم قال المقري :-

((و لنقتصر من كلام ابن جابر في هذا الموضوع و على هذا المقدار وإنما اطنبت فيه لما تقدم من الأعتراض على لسان الدين في عدم توفيته في حق المذكور وحق رفيقة مع انه اطال فيمن دونهما من اهل عصره وأيضاً فان كليهما غريب عندنا في المغرب لكونهما ارتحلا قبل أن يشتهرا كل الاشتهار وكان خبرهما في الشرق أشهر)) ،والملاحظ أن الدكتور شوقي ضيف عاد إلى ابن جابر وترجم له في شعراء المدائح النبوية في الكتاب نفسه (116) فذكر أسمه كاملاً و تاريخ مولده و وفاته و شيوخه ورحلاته العلمية و بعض مؤلفاته ثم قال " و في النفح طائفة كبيرة من

نبوياته منها مقصورة في نحو ثلاثمائة بيت و قد لخص ما أورده ابن جابر في هذه المقصورة من المقدمة الغزلية إلى المديح النبوي إلى الخواطر والحكم و ذكر شمائل الرسول ، إلى اخره ، كما ذكر قصيدة ابن جابر في التورية باسماء سورة القرن و أورد ابياتاً من بدايتها نقلاً عن المقري وقالً: " واورد له المقري مدحة من غرر مدائحه للرسول وري فيها بسور القران الكريم و يقول المقري لو لم يكن له في مديحه سواها لكفى"(117)

و قد ابدى الدكتور شوقي ضيف اعجابه و اندهاشه في الوقت ذاته بهذه القدرة العجيبة لابن جابر قائلاً : "والطريف أنه يحكم و ضع السور في مديح البيت و يلتحم بمعناه التحاماً رائعاً " (118) ثم قال في الختام بعد ان أشار إلى مطولة ابن جابر في فضائل الصحابة و آل البيت و قال : " ونشعر دائماً عنده انه يستمد من نبع فياض لا يتوقف و لا ينقطع بل يتدفق تدفقاً غزيراً " (119) .

كذلك يقول الحبيب ابن الخوجة في معرض حديثه عن مقصورة حازم القرطاجني " ثم تلاه حازم بألفيته التي بين أيدينا ومن بعد هذين شمس الدين ابن جابر الوادي أشي الضرير " (120) والغريب أنه هو الأخر يحيل على المقري في نفح الطيب .

وقد وقع محمد محفوظ ، محقق برنامج الوادي أشي ، في الاضطراب ذاته والخلط بين الرجلين ، قال " اغرب المقري في نفح الطيب ، حيث جعل وفاته- يقصد ابن جابر الوادي أشي فسنة 979 هـ و لعل المقري سها وانتقل ذهنة إلى ابن جابر الوادي أشي الأخر محمد بن على بن جابر الهراوي – يقصد الهواري – فحرفها النحوي الأعمى (121)

فنسب ابن جابر كما فعل الحبيب ابن الخوجه – إلى وادي أشي ولم يقل احد لا ابن جابر نفسه (122) ، و لا من ترجموا له انه من وادي اشي ، فالثابت انه من المرية التي كانت تعد ثاني مدن مملكة غرناطة من حيث الاهمية الثقافية والاقتصادية و الاستراتيجية في هذا القرن (123) ، و هكذا رغم شهرة ابن جابر العلمية في مستقره في حلب ، و مشاركته في عدة علوم كان الشعر أحد جوانبها البارزة و الهامة إلا ان الاتجاه اللغوي كان الأغلب عليه ، و كانت معظم مؤلفاته فيه ، كما يتضح من الاستعراض السابق لمؤلفاته و دراساته . وهكذا حفلت حياة هذا العالم الأندلسي بالعلم و المؤلفات الكثيرة والشهرة العلمية ، التي دوت في المشرق ، و تقاطر عليه من حلب طلاب العلم ومريدوه من شتى المواطن والبقاع ، وترك آثاراً علمية لها مكانتها و ذيوعها ، رغم هذا التجاهل والجهل الذي شمل حياته وأثاره .

المصادر والمراجع

1) محمد عبد الله عنان ، ابن الخطيب ، حياته وتراثه الفكري ،ص29

2) الصفدي ،نكت الهميان:ص،145،الوافي بالوفيات 157/2 .

3) ابن الجزري ،غاية النهاية في طبقات القراء،60/2 .

4) ياسين الأيوبي :صفي الدين الحلي :ص،166 د.زكي مبارك،المدائح النبوية ،ص204 .د.بكري شيخ أمين :مطالعات في الشعر المملوكي والعثماني،ص267 .

5) درة الحجال في أسماء الرجال:242/2 .

6) المقدمة ص533 .

7) سيصدر هذا الديوان قريباً بتحقيق كاتب هذا المقال .

8) نفح الطيب .

9) الإحاطة .

10)الإحاطة ،3/1،234/240 .

11)المرجع نفسه ،ص240/1 .

12)نيل الابتهاج علي هامش الديباج ،ص232 .

13)الإحاطة ، ص144/2 .

14)المرجع نفسه ص146 .

15)المرقبة العليا ،ص164 .

16)انظر ترجمة البلفيقي في:الإحاطة ،ص143/2 ،غاية النهاية ،ص235/2 .فهرس الفهارس،ص152/1 ،الديباج المذهب ،ص291 .

17)ابن الخطيب ،اللمحه البدرية ،199 .

18)الإحاطة ص506/2 .

19)المرجع نفسه ،330/2 .

20)نفح الطيب .162/10 .

21)الإحاطة .331/2 .

22)نفح الطيب . 165/164/10 .

23)الإحاطة .332/2 .نفح الطيب ،165/10 .

24)نفح الطيب 165/10 .

25)المرجع نفسه والصفحة ذاتها.

26)المرجع نفسه والصفحة ذاتها .

27)الإحاطة 36/3 .

28)غاية النهاية .200/2 .

29)الإحاطة .73/3 .وغاية النهاية ،20/2 .

30)خوليان ريبيرا،التربية الأسلامية في الأندلس،ترجمة د.الطاهر مكي ،ص133 .

31)المقدمة ،ص406-407 .

32)الإحاطة ،330/2 .

33)غاية النهاية ،151/1 .

34)المرجع نفسه ،60/2 .

35)نفح الطيب ،441/3 .

36)ابن الجزري ،غاية النهاية ،285/2 .

37)نكت الهيمان ،ص285 .انظر ترجمة ابن حيان في غاية النهاية 285/2 نكت الهيمان ،280 الإحاطة ،43/3 ،بغية الوعاة،280/1.الوافي بالوفيات ،276/5 .الكتيبة الكامنة ،81 شذرات الذهب ،145/6 .النجوم الزاهرة111/10 .فهرس الفهارس155/1.وغير ذلك.

38)غاية النهاية :60/2.

39)أحمد أحمد بدوي،الحياة العقلية في عصر الحروب الصليبيةبمصر والشام ،ص10.

40)نفح الطيب ،74/1.

41)برنامج المجاري:تحقيق،محمد أبو الاجفان ص:27-31.

42)د.صلاح الدين المنجد:دمشق في نظر الاندلسيين،صحيفة معهد الدراسات الأسلامية في مدريد،عدد 1-2،ص1958،32.د.علي أحمد:الاندلسيون والمغاربة في بلاد الشام من نهاية القرن الخامس وحتي نهاية القرن التاسع،دار طلاس،ط.أولي،1989 .

43)خوليان ريبيرا:التعليم في الندلس ص:27 .

44)برنامج الوادي آشي ،ص14.

45)غاية النهاية :60/2.

46)نكت الهيمان :ص244.

47)الكتاني فهرس الفهارس،154/1.

48)المرجع نفسه ،والجزء ذاته والصفحة ذاتها.

49)برنامج التجيبي،ص232.

50)برنامج الوادي آشي،ص92.انظر ترجمته أيضاً:فهرس الفهارس154/1.مقدمة كتاب تذهيب الكمال :تحقيق د.بشارة عواد معروف :ط بيروت:1980.

51)برنامج التجيبي،تحقيق عبد الحفيظ منصور ،ص223.

52)انظر ترجمة الكمال الضرير ،غاية النهاية ،244/1.نتك الهيمان:188.

53)غاية النهاية :60/2.

54)المرجع نفسه والصفحة ذاتها.

55)طراز الحلة وشفاء الغلة ،تحقيق د.رجاء الجوهري ص،159،ونفح الطيب:228/10.

56)غاية النهاية:151/1.

57)الإحاطة ،330/2.نفح الطيب :163/10.

58)نكت الهيمان:ص244.

59)غاية النهاية :60/2.

60)الزركلي،الأعلام 225/6.

61)نفح الطيب:165/10.

62)الإحاطة،331/2-332.نفح الطيب،164/10-165.

63)نفح الطيب:162/10.

64)عنان ،ابن الخطيب،حياته وتراثه الفكري :ص344-345.

65)نفح الطيب:162/10.

66)المرجع نفسه165/10.

67)المرجع نفسه166/10.

68)المرجع نفسه164/10.

69)المرجع نفسه162/10-163.

70)الإحاطة ،330/2.

71)نفح الطيب،163/10.

72)بغية الوعاة،34/1.

73)الحياة العقلية في عصر الحروب الصليبية بمصر والشام :ص232 ما بعدها.

74)المرجع نفسه ص300.

75)الوافي بالوفيات:157/2.

76)شذرات الذهب:260/6:الدررالكامنة:300/3.

77)نثير الجمان:ص208.

78)بغية الوعاة:35/1.

79)مقدمة كتاب(غاية النهاية) وترجمته في الكتاب نفسه:247/2.ومقدمة كتابه(النشر في القراءات العشر).

80)غاية النهاية:243/2.

81)نكت الهيمان،ص244-246.

82)بروكلمان،تاريخ الادب العربي،212/2.الدرر الكامنة،300/3.شذرات الذهب 268/6.الأعلام،225/6.

83)انظر مقدمة كتاب الفصيح،تحقيق د.عاطف مدكورص9.

84)المرجع نفسه،ص194.

85)المرجع نفسهنص199.

86)شذرات الذهب :268/6.

87)بغية الوعاة:35/1.

88)حقوق هذا الشرح للدكتوراه بكلية اللغة العربية بالأزهر عام 1980م.

89)درة الحجال :242/2.الأعلام:225/6.

90)شذرات الذهب:268/6.بغية الوعاة:35/1.

91)بغية الوعاة:240/1.

92)الأعلام :186/10.

93)تاريخ الأدب العربي:134/3.

94)محمود مكي،المدائح النبوية،ص138-139.

95)طراز الحلة:ص55.

96)مقدمة طراز الحلة وشفاء الغلة،تحقيق د.رجاء الجوهري ،مؤسسة الثقافة الجامعية بالإسكندرية.

97)د.احمد إبراهيم موسي،الصبغ البديعي،ص383-388.

98)النقد الادبي في العصر المملوكي:ص115.

99)من هذا الديوان نسخة بمعهد المخطوطات بجامعة الدول العربية ،ورقمها(801) أدب.

100) رحلة ابن بطوطة.دار الكتب العلمية ،بيروت،1978ف .ص:72 نفح الطيب ،196/10.

101) د.سعيد عبد الفتاح عاشور ،الايوبيون والمماليك في مصر والشام ،ص249.

102) ريحانة الكتاب 295/1-490.ابن الخطيب حياته وتراثه الفكري :ص108،نهاية الاندلس:ص129:نفح الطيب:136/6.

103) سينشر هذا الديوان قريباً بتحقيقنا.

104) حقق كاتب هذا الديوان وسينشر قريباً.

105) النقد الأدبي في العصر المملوكي:ص111 وهو رسالة للدكتوراه بدار العلوم ،عام 1969 ثم طبعت بدار الفكر العربي.

106) الأدب في العصر المملوكي ،ص137.

107) مقدمة كتاب المعيار في نقد الاشعار ،تحقيق د.عبد الله سليمان هنداوي،ط.اولي ،1987.

108) د.محمد رضوان الداية :تاريخ النقد الأدبي في الأندلس،ص037.

109) المرجع نفسه والصفحة ذاتها.

110) أحمد الشرقاوي إقبال بانت سعاد في المامات شتي :ص88.

111) انظر مقدمة برنامج محمد بن جابر الوادي آشي ،تحقيق :محمد محفوظ ،دار الغرب الإسلامي ،1982/.

112) شوقي ضيف،عصر الدول والامارات ،الأندلس :ص244-245.

113) نفح الطيب:167/10.

114) الإحاطة :330/2.

115) نفح الطيب:227/10.

116) عصر الدول والأمارات،الأندلس ص376.

117) المرجع نفسه :ص377.

118) المرجع نفسه والصفحة ذاتها.

119) المرجع نفسه والصفحة ذاتها.

120) د.الحبيب بن الخوجة ،قصائد ومقطوعات صنعة أبي الحسن حازم القرطاجني ،الدار التونسية للنشر ،تونس:1972،ص39.

121) برنامج الوادي آشي،ص20، هامش رقم "4"

122) نكت الهيمان :ص45.

123) أرسلان ،خلاصة تاريخ الاندلس :ص23.